

أحلام العصافير

علاء الدين طعيمة

دار المدائن

بسم الله الرحمن الرحيم

أحلام العصافير
(٢)

الطبعة الأولى
١٩٩٩م - ١٤١٩هـ

رقم الإيداع : ١٥٤٠١ / ٩٨
الترقيم الدولي : I.S.B.N
977-5339-34-0

دار المدائن للنشر والتوزيع
العجمي : البيطاش - مدينة الأندلس والحجاز - عمارة ١٤
سموحة : ٢٧ش محمود داود - عمارة الجمارك - الدور الثاني
تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

رسوم
يسرى حسن

الحب .. ما أجمل أن تحب .. تعشق .. تفنى نفسك من أجل إنسان آخر .. تضحى من أجله .. تحزن إذا غضب .. تفرح إذا ابتسم .. تأكل نفسك إذا اشتكى من علة أو مرض .. إذا تأخر عنك تذوب قلقاً .. وإذا أتاك مشرقاً ترفعك أجنحة الفرحة باللقاء كأنك طائر يحلق فى السماء .

كانت تلك سطور تقرأها خديجة فى كتاب « الحب الوردى » الذى كانت تلتهم صفحاته بنهم .. ورغم سعادتها بما تقرأ إلا أنها همست لنفسها بأنها حتى الآن لم تعرف طريق الحب .. ذلك الحب الذى يجمع بين رجل وامرأة .

وضعت خديجة الكتاب على الكومدينو الملاصق

لفراشها ثم سارت نحو الشرفة فأزاحت الستارة البيضاء وفتحت باب الشرفة فتلاقى نظرها مع ذلك المنظر الجميل الذى ما فارقته منذ نعومة أظافرها .. وقالت لنفسها :

« ما أجمل هذا الأخضر المترامى الذى لا نهاية له هذه الحقول عاشت ليس أمام شرفتى فقط بل فى أعماقى ترقد الخضرة وفى صدرى أريج الزرع يدخلنى ثم لا يخرج .. كم أحب قريتنا الجميلة .. أليس هذا أيضا نوع من الحب ، أحب الحقول والسماء .. أعشقها وأستطيع أن أضحى من أجلها .. وأحزن إذا اصفرت هذه الزروع وأفرح عندما يتراقص العود الأخضر مع صاحبه على أوتار النسيم الحنون .. أقلق لقلق الفلاحين من نوة أو عاصفة أو حشرة وأغنى لهم معهم وللدنيا ساعة الحصاد والجنى . أليس هذا حب أيضاً ؟ هل يقتصر الحب لرجلٍ أم هو لكل جميل ؟ » لم تتمكن



خديجة من الإسترسال فى أحلامها والتساؤلات التأملية .. حتى دخلت عليها أمها :

ـ خديجة .. حبيبتى ... لك عندى خبر سيفرحك .

استدارت خديجة وتنبهت لعبارة أمها ثم انتقت منها كلمة :

ـ حبيبتى ؟ ... أمى ... هل قلت حبيبتى ؟

ابتسمت أمها متعجبة وقالت :

ـ كل يوم ألقيها فى أذنك عشرات المرات ؟

ابتسمت خديجة واقتربت من أمها وأمسكتها من كتفيها :

ـ أعرف يا أمى .. ولكنى أتفحصها .. أتذوقها .. إنه حب الأم لأولادها .. ياه .

احتضنتها أمها وقالت فى أذنها :

ـ سيأتى اليوم الذى تصبحين فيه أماً .. وتحبين أولادك ..

ولكن .. ولكن ..

ثم ابتعدت عنها لتراها وتبشرها :

– ولكن .. لا تأخذينى فى تأملاتك فأنسى .. هل تتوقعين .. من سيأتى ليقضى معنا أجازة نهاية العام ؟

شردت خديجة تفكر .. فأقاربهم كثيرون – خلان وأعمام وخالات وعمات .. وكلٌّ لديه أسَرة كبيرة .. وكل عام يأتى البعض منهم إلى هذه القرية التى يمتلك والد خديجة مساحة لا بأس بها من طينها ويقع منزلهم الكبير وحيداً فى منتصف تلك الحقول الوفيرة .

فهزت رأسها تستنطق أمها التى أراحتها فقالت :

– عمك زهران وزوجته تيسير ومعهما ولدهما على الدين .

قطبت ما بين حاجبيها والدهشة تعلو جبينها :

ـ يا إلهى .. عمى زهران ؟ إنه الوحيد من أعمامى الذى لم يأت لزيارتنا منذ أن كنت صغيرة !!

ـ نعم وكان ولده على الدين يكبرك قليلا .. وكنتما على دوام الشجار والمناطحة .

ضحكت خديجة وقالت بينما تهم بالدخول للجلوس على فراشها :

ـ ياه يا أمى .... إنى نسيت ملامح على الدين .. ولكنى أتذكره .. لماذا إذن لم يأتوا لزيارتنا كل عام كما يفعل بقية أقاربنا ؟

جلست أمها بجانبها وهمست فى أذنها :

ـ خلافات يا خديجة .. خلافات على مسائل تخص الوراثة والحقول .. ولكن الحمد لله ... انتهى الخلاف على ما يبدو .. وعاد الوئام بين والدك وعمك .. وعادت تيسير حبيبتى تأتى لزيارتنا .. وعاد إليك

على الدين يا خديجة .

لم تفهم خديجة مقصد أمها .. وظنت أنها توقظ فيها فقط ذكريات الطفولة فصاحت بها :

– ومتى يا أمي .. متى سيأتوا ؟

– غداً .. غداً .. هيا .. تجهزى ولنساعد الخادمة فى إعداد حجرات الضيوف .

كان النهار تمر ساعاته .. وهى لا تدرى لماذا أصابها كل ذلك النشاط .. وبقدر ما تخشى مرور الوقت قبل انقضاء مراسم استقبال الضيوف بقدر رغبتها فى حلول ساعة تراهم ينزلون من الحنطور يحمل لهم الخفير حقائب السفر .

خديجة فتاة أصابتها القرية بشاعريتها وبساطتها مع إمتدادها الفسيح بجانب صفاء جوها ونقاء زفيرها بجمال يسمونه الجمال الربانى .. الجمال الذى لم تعبث فيه فرشاة

ولا مساحيق تزييف .. تراها تغدو كالنسيم .. ضحكتها بشرى .. وصمتها آية .

ترعرعت فى بيت تقى .. قصد أبواها أن يجعلا منها حكمة تمشى على رجلين .. فحفظت من القرآن الكثير ودرست من الأحاديث الوفير .. وتتلمذت على يد التأمل الذى كان يحبسها فى فصله معظم ساعات الليل والنهار .. حتى كبرت على ذلك وتم لها هذا العام النجاح فى الثانوية العامة .. وبدا أنها تطمح فى كلية الزراعة حيث سيمتد الغصن الذى نمت بذرته فى القرية الجميلة .

ها هو الفجر قد شقشق .. فخرجت تلتمس نسائمه العطرة الصبوح بعد أن صلت ما عليها من فرض الله تعالى .. وكانوا كلهم ينتظرونها فى الشرفة .. ملأت كفيها من الجوال وخرجت يطرب قلبها لدعائهم المزقزق .. وما إن رأوها حتى انهالت عليها جموعهم .. يأكلون من بين

أصابعها .. وهى تأخذ من الجوال إليهم .. فإذا رأيتها وقد غطتها الطيور .. رأيت ملاكا اطمأنت لديه العصافير على أنفسها ولعرفت أن الخير يجرى من يديها بصلاحها وحب الله لها .

وفى الظهيرة وقفت مع أمها فى المطبخ يعدان الطعام .. فالضيوف على وصول . وفى الميعاد المحدد .. اقتربت للأسماع أجراس الحنطور فهرعت خديجة وأمها إلى الشرفة .. ورأتا الخفير يتناول الحقائب ثم نزل العم زهران وزوجته وبعده ولدهم على الدين .. وكان والد خديجة يهرع إليهما ليستقبلهما .. فأسرعت أمها تنزل سلالم الشرفة لترحب بهم . أما خديجة فبقت مكانها تنظر لعلى الدين يأخذها العجب إذ ترى شاباً غير الذى تعرفت عليه طفلا من قبل .

وقبل أن ينحنى الزوار نحو مدخل البيت رفع على الدين بصره نحوها فكأنما قذفها بما أربكها فنزف حياؤها وارتدت

للوراء .. ولكنها وحدها وفى غرفتها ـ لما دخلت ـ حاولت أن تتذكر على الدين على هيئته التى كان عليها منذ قليل وغاب الذى من قبل ـ فى الطفولة ـ كان نطيحها ومشاكسها .

وفى حجرة الاستقبال غابوا جميعا إلى أن شق صوت أمها صمت المنزل :

ـ خديجة ـــ تعالى لترحبى بعمك .

اندفعت نحو باب الحجرة ثم عادت كما ذهبت والحياء يجرها للخلف جراً .. ثم نزلت السلم تتعثر فى خطواتها حتى سارت ووقفت بباب الإستقبال :

ـ مرحباً عمى .

ولما عاد الليل من جديد وآوت إلى فراشها .. أحست أن بين حشايا النفس سقطت بذرة تريد الدفء والأمان والرى حتى تترعرع .. نوع مختلف من الحب .. كل ما فيه

جميل إلا الخوف .. إنه حب رعديد .. وتساءلت فى نفسها « لماذا كل هذا الخوف ؟ » حاولت أن تهرب من صورة على الدين .. ومر ميعاد نومها الطبيعى دونما رغبة فيه .. كلما حاولت أن تطرق باب النوم لا ينفتح ووجدت على الدين أمامه .. فتعود إلى رواية تقرأها وكلما قرأت سطراً عادت تقرأه من جديد وكلما طوت صفحة عادت إليها وصورة على الدين كأنها طبعت عليها .. أخذ الأرق يفترسها .. أطفأت الأنوار وظلت تتلوى فى الفراش .. انتفضت مرة أخرى فقامت إلى الشرفة ووجدت نفسها تنظر للقمر فإذا به يهتز وكأنه يغرق فيما اغرورقت به عيناها من الدمع .. ثم اجهشت فى بكاء لم تدر له سبباً .

وفى صباح اليوم التالى بعد أن أطعمت طيورها جلست فى المطبخ تراقب أمها وهى تعد الفطور :

ـ خديجة .. فيم كل هذا الشرود ؟ .. ألم تنلى ما

يكفيك من النوم ؟

لم ترد عليها وظلت في شرودها :

ـ خديجة .. حبيبتى .. أين أنت الآن ؟ .. بنيتى ؟

ـ أمى ؟ ... لا .. لا شئ .. هل ستأتى زوجة عمى لتساعدنا فى تجهيز الفطور ؟

ـ إنه اليوم الأول يا بنيتى .. لقد كانوا بالأمس فى سفر .. ولابد أنهم جميعا مرهقون إلا على الدين .. فيبدو عليه النشاط المبكر .. لقد قمت فى الصباح عليه وهو يصيد العصافير ببندقيته .

ثارت ثائرة الفتاة كمن لدغتها عقربة فهربت تجرى إلى خارج البيت تبحث عن قاتل العصافير .. فوجدته تحت أيكة ينظر فيها لأعشاش العصافير ولمحت على غصن عنقودا نظمه على الدين من العصافير التى صادها فى خيط سميك .. فزادت ثورتها .



ـ أنت .. قف عما تفعله .. أليس في قلبك رحمة ؟ !!
استدار لها فلما رآها جادة في قولها .. احمر وجهه وارتبك :
ـ أهلا يا خديجة .. هل فعلت ما ضايقك ؟
ـ ما ذنب طيور بريئة في أعشاشها تغتال أحلامها ببندقيتك ؟
ولما أدرك على الدين سبب غضبها ضحك :
ـ أكل هذه الثورة من أجل طير أحله الله لنا ؟
ـ لم يصبنا الجوع المميت حتى نتسلى بقتل الطيور البريئة .
ـ استقبال مهذب لضيوفكم يا خديجة .. هاك طيورك العزيزة .. أما أنا فسأخبر والدى بأننى عائد إلى الأسكندرية .. أظن أن فيها سأكون أكثر سعادة وحرية.. تركها وولى وتسمرت في مكانها تنظر إلى عنقود العصافير الذبيحة

وشعرت كأنها واحدة منهن .

وأسرعت إلى أمها وقصت عليها ما جرى .. فلامتها على حدتها وطلبت منها أن تعتذر له فوعدتها بذلك .

أما على الدين فقد ذهب إلى والده بعد الإفطار وطلب أن يسمح له بالعودة إلى المنزل فى الأسكندرية متعللاً بعدم تأقلمه مع جو القرية .. ورغم محاولات الأب لإقناعه والأم كذلك إلا أنه ألح فى الطلب .. فأخبروا الجميع أن على الدين سيعود فى الصباح التالى إلى الأسكندرية وحده .

ومضى وقت الغداء الذى تجمعوا فيه كلهم إلى المائدة وناقشوا أمر مغادرة على الدين المفاجئة وأبت خديجة الاعتذار فى هذا الجمع وودت لو أتت فرصة تمنحها حفظ ماء الوجه وأتى الليل فتكدرت وابتلعها الغم .

فى حين كان على الدين ينظم حقائبه حتى يتسنى له الرحيل مبكرا .. ولو أن ملامحه فى الجمع كانت صارمة إلا

أنه فى خلوته تمنى لو يراها قبل رحيله .

وعلى الدين شاب وسيم الطلعة فارع الطول ذو شارب ثقيل لأبيه .. وملامح جذابة لأمه .. فى السنة قبل الأخيرة من كلية التجارة .. اتفق ووالده من قبل على أن يدير له أعماله بعد التخرج .. إلا أنه مما يحسب عليه رعونة فى اتخاذ القرار وعناد شديد عرف عنه ورغم ذلك إلا أن له قلباً وحساً جميلا وعقلا مستنيراً . فمع عناده الصلب كانت رغبة ملحة تريد أن تمنعه من الرحيل ليبقى بجانبها « خديجة » وحار فى مصدر هذه الرغبة .. وتساءل فى نفسه « أهو الحب ؟ .. الحب ؟! ... أبهذه السرعة ؟! » .

كانت خديجة فى شرفتها تتمنى لو أنه مر أمامها فتناديه وتعتذر له وتطلب منه ألا يعود للأسكندرية وكان هو فى حجرته يتمنى لو رآها مرة واحدة قبل أن يعود إلى مدينته .. وظلت الأمنية حبيسة العند والحياء .. عناده وحياؤها . ومرت

على كل منهما ليلة حزينة .. وأتى الفجر فغلبها النوم .. أما هو فظل فى حيرته وسهده حتى لاح نور الصبح .. فتناول الفطور فى حجرته ثم نزل فودع والديه وعمه وزوجته .. وانتظر أن تأتى خديجة لتمنحه نظرة أخيرة ولكنها كانت تغط فى نوم مرهق فظنها تعمدت ذلك فخرج مسرعاً يملأ صدره الغيظ .

وكان النوم ما يزال فى عينيها عندما سمعت صوت زوجة عمها تودع ولدها على الدين .. فأصابها الذعر وقفزت من الفراش إلى الشرفة .

ولما أصابه اليأس من خروجها لتوديعه قفز فى الحنطور واللحظة الأخيرة قبل تحركه .. استدار ينظر لشرفتها .. فرآها واهتز طرباً بها يرى عينيها تودعه وتعتذر له وتسأله ألا يرحل .. فكاد أن يرجع ولكن الحنطور تحرك والعناد قد تصلب .

ومضت أيام وأيام لياليها سهد وأرق وحيرة .. خديجة لا

تترك ردهة البيت حيث التليفون العتيق .. تريد أن تكون أول من يرد عليه إذا تكلم من خلاله .. ولكنه لم يتكلم غير مرة واحدة كانت ساعتها فى حجرتها . فى حين كان على الدين يحاول الهرب من صورتها التى تطارده فى كل مكان . وكثيرا ما فكر فى العودة ولم يقرر خاصة أن العام الدراسى الجديد أوشك على الابتداء .

واتفق فى البيت الكبير فى القرية على أن تلتحق خديجة بكلية الزراعة بالأسكندرية .. وأن تمضى فترة الدراسة لدى عمها زهران وأسرته .. فلما خرج عليها والدها بالخبر كاد قلبها أن يتوقف من الهلع وتوقعت لحظة لقائه وظلت تنتظرها ساعات طويلة .

وفى اليوم المحدد قامت خديجة بإعداد حاجياتها فى الحقائب وودعت أبويها ورافقت عمها زهران وزوجته إلى الأسكندرية .

لم يصدق على الدين عينيه وهو يراها وقد أحمر وجهها عند اللقاء ولما عرف أنها ستقضى معهم عاما دراسياً كاملاً طار فرحاً ولكنه تماسك أمام الجميع وأمامها .

ودقت خديجة بقدميها شوارع الأسكندرية .. أعجبتها المدينة بجوها وبحرها ونسيمها ولكنها كانت تتوق إلى القرية وتحزن كلما تذكرت أن لا أحد يطعم العصافير كل صباح ولما كانت تعود إليهم فى الخميس والجمعة تحرص على قضاء أطول وقت معهم .

وظل ما بينها وبين على الدين حبيس اللسان .. فلم يقدر أى منهما على البوح بمكنون الصدر حياء وكبرياء .. ولكن الأعضاء فى المواقف المختلفة تتكلم .. فالعين العاشقة تديم النظر وتحس الأذن بهمسات الحبيب من فراسخ .. وتشم الأنف رائحته المميزة لمـا يمر فتنخلع النفس من مكمنها إليه انخلاعا .

كانت خديجة على التزامها المعهود فى دراستها .. وساعدها جدول الكلية على الاحتفاظ بنفس المواعيد التى تعودت عليها فى القرية .. فهى تقوم لتصلى الفجر ثم تجلس للمذاكرة حتى يجتمعوا للإفطار ثم تذهب للكلية وتعود فى آخر النهار إلى الغداء ثم المذاكرة فالنوم وفى كل صباح تفكر فى العصافير . حتى واتتها الفكرة .. فأحضرت معها من القرية بعض القمح ذات مرة وبعد جهد نجحت فى اجتذاب عدد من العصافير أخذ يزداد يوماً بعد يوم .. حتى كانت فى قمة السعادة .

أما على الدين فكان يجلس إلى مكتبه ساعات يكتب لها خطابات ثم يمزقها ثم يعود للمذاكرة .. وحار حيرة مُرّة فى كيفية كسر الحاجز ما بينهما .. لقد أدرك بقلبه حبها له .. وتاق كثيرا لإعلانه وذات مرة وقف أمامها معقود اللسان متفجر الجبين متوهج الوجنتين يجاهد عبثا أن يكسر بلورة

الحياء :

ـ خديجة ... أنا ... أنا ....

ـ ماذا تريد يا على ؟ ..... ماذا بك ؟

ـ فى الحقيقة .. أنا .. لا لا ... هناك شئ أريد أن أخبرك به

ـ وما هو ... ؟

نظر إليها ملياً .. فى عينيها كانت نظرته .. أحست به وادركت مرامه .. وهجم عليها الخوف يأتيها من كل مكان .. ارتبكا واختنقا كأن الهواء قد تقلص فى السماء .

برغم أنها تحلم حلماً واحدا كل ليلة .. أن يدخل على الدين حياتها ويتزوجها إلا أنها لم تتوقع أن هناك طريق طويل قبل ذلك .

ومرت دقيقة كأنها دهر والصمت هو المسيطر على الأشياء .. والحياء كالنحلة يطن فى الآذان والكبرياء يثقل

اللســان ، ولما تقـوى على الدين حين أراد أن يزيل حـمـرة خديها .. دخلت والدته :

ـ على الدين ... خديجة .. ميعاد الغداء يا أولاد .. هيا .

لم تنتظر سماعه بل اندفعت وراء زوجة عمها .. أما هو فكان بحاجة إلى الجلوس اعتمد على ظهر المقعد ثم ارتمى على الفراش يكاد يبكى جهداً ، وارهاقاً . وأحس أنه كان يتسلق الإفرست.

وفى الليل أحست خديجة بالخوف .. أن على الدين قد ضاق بما فى صدره ويريد أن يلقيه بين يديها .. ماذا تفعل ؟ .. ماذا تفعل وهى وحيدة فى هذا المكان ؟ .. حيث لا أحد تتكلم إليه وتسمع مشورته .

وفى الكلية أرادت أن تشارك إحدى صويحباتها الأمر فكانت حنان :

ـ ها ها ها .. ما هذا يا بنيتى ؟ ما هذا يا حبيبتى ؟ من

أين أتيت بكل هذا الصبر ؟ .. احزنتنى والله .. وما الذى يمنعك ويمنعه ؟

– الحياء .. الخجل .. الخوف ..

– أى خوف ؟

– الخوف من الله ... !

– وهل الحب حرام يا خديجة ؟

– ليس حراماً .. ولكن الحرام هو علاقة غير شرعية تقوم عليه .

– أخلاق القرية .

– ويجب أن تكون أخلاق المدينة كذلك .

– أحلام

– لا علاقة لى بالمدينة سوى الدروس أما أنا فبنت أبى وأمى والقرية .

– ولكنه سيعترف لك آجلاً أو عاجلاً .

ـ مصيبة يا حنان ... مصيبة .

ـ وماذا سيكون رد فعلك ؟

ـ لا أدرى .. لهذا أنا أصارحك .

ـ خذى الأمور ببساطة يا خديجة .. نحن فى القرن العشرين .. وفى آخره .

ـ أخلاقنا لكل زمان ومكان .

ـ الدنيا تجرى حولنا .. وهذه المشكلة تراجعت أمام الـ........

ـ أمام الوقاحة الفجة .. وانعدام الدين .. أمام التقليد الأعمى للغرب .

ـ ولكنهم فى الغرب ليسوا كذلك .

ـ فى الغرب ؟ .. فى الغرب يعاشر الرجل امرأة سنوات قبل الزواج ولو نشأ ما بينى وبين على الدين علاقة لاحق لنا فيها فسيأتى يوم نصبح مثلهم .. زنا فى زنا .. وما تريدينه لى

ولعلى الدين سيكون سنة سيئة فى المجتمع يبنى عليها الفجور فيما بعد .

ـ لو سمعك أحد من هؤلاء الشباب لمات ضحكاً منك .

ـ أنا أبدأ بنفسى يا حنان .

ـ نقطة فى بحر .

ـ ولكن لها وجود .. لها مجال حولها .. وعسى ...

ـ دعينا ... المهم ... ماذا إذا جاءك ذات مـرة وقـال لك ‹ أحبك يا خديجة › ؟

ـ آه ... لا أدرى .. لا أدرى .. لا أدرى .

ـ قولى له ... وأنا أيضاً أحبك يا على الدين .

ـ يا الهى ... آه ... كفى يا حنان .. لا أقدر .

ـ أكل هذا الحب تريدين له الموت ؟

ـ أريد له الموت ؟ ... لا ... لا يا صديقتى .. بل أريد له الحياة فى النور .. فى النور يا حنان .

ومرت أيام النصف الأول من العام .. فإذا جاءت أجازة نصفه .. ذهب الجميع إلى القرية وهناك سعدت خديجة بلقاء طيورها .. ولما رآها على الدين هكذا تعجب وأسف لقتله العصافير وتمنى لو حباه الله بهذه الملكة الطيبة .. وازداد بعد ذلك حباً لابنة عمه .

كانا لا يفترقان أمام العيون .. وكانت أجازة سعيدة بحق .. فهما إما يتندران أو يمرحان على جوادين فى الحقول بصحبة أحد والديها أو يساعدان الفلاحين بأيديهما أو يجالسان الأهل حتى شعر الجميع أنهما شيئ واحدا .. وغاية متوحدة .

كان على الدين سكندرى .. عاش فيها عمره .. ولكنه الآن أصبح يحب القرية .. أو بالأحرى يحب أى مكان تكون فيه خديجة .. وأصبح وطنه وطنها .. ومع كل هذا شعر أنه قد طالت فترة الحذر أكثر من اللازم .. وأن القلب قد فاض

به الكيل وحار ماذا ، يفعل فى نفسه كلما همّ بالإعتراف تراجع وكلما حانت فرصة ضيعها عليه الكبرياء والخوف .

وانتهت الأجازة السعيدة وعادت أيام الدراسة وبدت خديجة منهمكة فى المذاكرة وبدا أنه أهمل فى درسه .. ولزمه شعور بأنه لو رمى ما على عاتقه من ثقل لأمكن له الإتزان ومداومة العمل .

كانت تساعد والدته فى غسيل الأطباق وتنظيف المطبخ .. وكان فى غرفته يوجج العزم على تفجير التابوت العاطفى الذى طال سباته . وأخذ يحدث نفسه قلقاً : « أول ما تدخل .. أستوقفها .. ثم أقول لها .. لا لا ... الأفضل أن أكتب لها خطابا .. نعم .. فكرة جيدة ... ولكن ماذا لو لم ترد عليه ؟ .. سأموت من القلق .. لا .. بل يجب أن أحصل على الرد فوراً .. ماذا .. ماذا لو فعلت مثلما يحدث فى الأفلام وقالت أنها فوجئت بى ؟ .. وأنها تعتبرنى أخاً لها ؟ .. يا ربى ..

ماذا أفعل ؟ .. » .

ووجدها أمامه تنظر له وقد انتقلت العدوى منه إليها بسرعة البرق .. كانت تحبه وتشعر به ولها حساسية مفرطة تجاه معاناته .. حاولت أن تزيل هذا التوتر بأى تصرف طبيعى .. فلم تقدر .. جذبها سحر الموقف بحلاوته المرة وانفجرت داخلها براكين عواطف وأحاسيس لم تكن تعرفها من قبل فاهتزت وحاولت أن تتماسك .. كان يلاحظ ارتعاش أناملها واهتزاز شفتيها .. وأدرك أنه لن يكون هناك مجال آخر لهذه الفرصة :

ـ خديجة .. هل تحبين لى الشر ؟

ـ بعد الشر .

ابتلع الهواء عسى أن يبلل خشونة حلقه :

ـ سأموت يا خديجة .. سأموت .

ـ لا تقل هذا الكلام ... ماذا بك ؟!

– بى ؟!

– نعم ..

– بى ؟ ... إن ما بى لا تقدر الجبال على حمله ولا يطيق باطن الأرض أن يحتويه .

– يا ساتر يارب .. على الدين .. ماذا بك يا على الدين ؟

شخصت عيناه فى عينيها .. وأحس أن الدنيا تميد به .. أما هى فكمن ينتظر الطعنة بصدر مفتوح :

– إن بى الحب يا خديجة .. الحب يا خديجة .. أحبك يا خديجة .

وكأنها لم تكن تشعر .. وكأنها مفاجأة .. ولكن لم تستطع أن تمثل دورها أكثر من ذلك وبدلاً من أن تنهره كما استعدت أو أن تعطيه محاضرة كما أهلت لذلك لسانها وجدت نفسها تجاهد الخجل بابتسامة الرضا فنقلته فى لحظة من الموت إلى الحياة ثم اندفعت تجرى من الحجرة .. وكان

الموقف يستلزم أياماً للشفاء من اشعاعاته المنهكة للقوى .

ومضى أسبوع وكلاهما يتحاشى الآخر .. كأنهما اقترفا جريمة .. أما خديجة فعادت تلوم نفسها على ابتسامتها وخشيت أن يسيئ فهمها فيطلب المزيد .. فارتدت قناعا من التجهم والقسوة خاصة لما كان الموقف يعارض بينهما .

وعلى الدين بعدما ألقى عن نفسه ما كان يقتله .. عاد إلى عقله يفكر به قبل أن يسلبه الشوق إياه بعد قليل .. وأدرك حرج الموقف .. فقبل أن تكون حبيبته فهى ابنة عمه . وهو أولى الناس بالحفاظ عليه . ثم إنها ضيفة فى بيتهم .. أحس أنه خان الأمانة .. وود لو عاد الزمن فيحتفظ بما باح به .. وحمد لها تجهمها وقابله بمثله ندماً .. ومرت أيام وأيام وهما على تلك الحال .. لا يجتمعان وحدهما لمذاكرة وكلامهما بحساب وابتسامتيهما صفراء .

ولكن كيف يصبر البحر على المد والقمر يشده إليه شداً

كل ليل .. فكل منهما وحده بالجسد ولكنه بالروح متوحد مع الآخر .. فى غرفتها تحس به إذا قام أو قعد أو تنحنح وفى غرفته يحسد فراشها وهو يهتز تحتها عند أى حركة وتمنى لو كان بساطا فى حجرتها تطأه بقدميها .. وتعاظم عليهما الأمر ولو أنها كانت أقوى منه لما تجد فى نفسها من رادع يمنعها من الإسترسال فى الحب .

وخرج على الدين إلى رفاقه عسى أن يجد سلوى أو تسلية .. ولكنه بينهم جلس شريداً .. لم يشعر بما تفكهوا به عليه .. وما أفاق إلا لما قاموا إلا شوقى أعز صديق له :

ـ على ... على الدين .. مساء الخير .

ـ هه ... آه ... شوقى ... أين ذهب الرفاق ؟

ـ فقدوا الأمل فى إعادتك لرشدك .. فقاموا

ـ وبقيت وحدك .

ـ أعتقد أننى كذلك .

ـ ها ها ها ... أنا معك يا شوقى

ـ ماذا بك يا صديقى ؟ .. ما الذى أخذك من الدنيا هكذا ؟

ـ هى .

ـ امازلت على الحب ؟

ـ باق يا شوقى .. باق ولا أجد ملجأ ينقذنى منه .

ـ حدد هدفك

ـ هدفى ؟ .. هدفى وصالها يا صاحبى

ـ وما المشكلة فى ذلك ؟

ـ هى كما تعلم .. ابنة عمى .

ـ وماذا فى ذلك يا على ؟ .. ما المشكلة ؟ .. الحب أقوى من كل شئ

ـ ماذا تقصد ؟!

ـ أعلم يا صديقى أن الحب إذا ولد طفلا يظل يبكى

بكاءاً مميتاً ومزعجا فأنت إذاً أمام أمرين لا ثالث لهما .

ـ وما هما ؟

ـ إما أن تطعمه أو ...

ـ أقتله ..

ـ بالضبط .. وفى الحالتين ستجد الراحة والهدوء .

ـ الراحة .... آه .. كم أريد الراحة .. شوقى أنا لا أنام .

ـ اسمع .. ألم تخبرنى من قبل أنها تبادلك الشعور .. فلم العذاب ؟

ـ وماذا أفعل ؟ .. دبرنى يا شوقى .

ـ لابد أن تتحدثا .. تتكلما .. تتفاهما .. تبادل واتفاق .. اطلب منها أن تجلسا فى مكان بعيد عن البيت .

ـ ابنة عمى .. ؟! أخرج مع ابنة عمى يا شوقى ؟

ـ لا حل غير ذلك لحالتكما .

ـ لا .. لا .. لا ...

– اسمع يا على .. فى قرارة نفسك .. ألا تتمنى ذلك ؟
– أ أ .... أ ...
– تتمناه وتحلم به .. وهى أيضا بالتأكيد تريد ذلك . إذن فألف لعنة على القيود .
– هو الرأى إذن وليكن ما يكون .
– عفارم .
مضى والعزم على رأى صاحبه حتى حانت لحظة التنفيذ .. ووجدها وحدها تطلب منه قلما بدلا من قلمها الذى جف :
– قلمى جف يا على الدين .. هل معك قلم زائد .
– خديجة .. لم أتلق منك رد .
– على ماذا ؟
– تعرفين مقصدى
– لا وقت لهذا الكلام يا على

ـ شعورك ... أريد أن أعرف شعورك .
ـ ليس الآن ...
ـ أراك ترضين بعذابى .
ـ لا تقل هذا الكلام .. ولا تسأل عن شئ أنت أعرف الناس به .
ـ إذن .. ما الخطوة القادمة .
ـ هذا ما كنت أخشاه
ـ أريد أن أتحدث معك على انفراد .
ـ هات القلم يا على إذا كان معك .
ـ لاتهربى منى يا خديجة ..
ـ ما فى رأسك لا محل له عندى .
ـ لماذا ؟
ـ لأنه مستحيل .. مستحيل يا على .
ـ خديجة .. إن الحمل ثقيل .. وما بيننا ينخر عظامنا ..

يؤلمنا .. إنه جائع .. لابد أن نطعمه .. كيف العيش هكذا ؟

ـ أمامك عام دراسى حتى تنتهى من شهادتك .. ساعتها تقدم لوالدى ولا أظن أنه سيرفضك .

ـ لن استمر .. لن أنجح .. ما دمت على العذاب فكيف أفرغ للدرس .

ـ على الدين .. الحب ليس معناه استمراء الخطر واستطابة الخطأ .. الحب الحقيقى حب بناء .. حب يحيا فى النور .. منه تنزع معاول النجاح والظفر .

ـ كلام جميل .. ولكن .. لسانك القوى هذا لم يستطع أن يخفى ما تفضحه عيناك .

ـ عيناى ؟

نعم .. أرى فيهما نَشْد الوصال .

ـ ولو ... ولكن عقلى يؤجله .. يؤجله يا على الدين .. لا تنسى أننى ابنة عمك وأن أبى قد تركنى هنا ويعلم أن لن

يمسنى من أحدكم سوء .. أنا أمانة يا على لديكم .

– ومن قال أن ما أطلبه فيه الإساءة يا خديجة .. إنه الحب .. الحب .

لم يفلح على الدين فى إقناع خديجة بمرامهما .. وزاد الحل ما بينهما سوءاً إلى سوء فأصبحا لا يكلم أحدهما الآخر ولا يلقى عليه صباحا ولا مساء .. وأحس والد على ووالدته بما بينهما :

– تيسير .. هل تخاصم على الدين وخديجة ؟

– أظن ذلك ..

– ولم ؟

– لا أدرى .. ولكنى لا أحب أن أتدخل بينهما .. فلنتركهما يوماً أو يومين وعلى يقين أن المياه ستعود لمجاريها .

– عسى يا تيسير .

انزوى على الدين وقد حطمت خديجة كبرياءه ورفضت

طلبه ولما حاول أن يعيد الاتزان لنفسه فشل .. وكبر عليه الأمر واستفحل حتى وهنت قوته وانقطع عن المذاكرة وكثر سهره وحار أبواه فى علته ولكنه تعلل بهموم الدراسة واقتراب الامتحان ولم يكن غير خديجة التى تدرى بحقيقة الأمر وباتت فى نكد وغم وحيرة وكانت أيام الدراسة الأخيرة مشحونة بالتوتر :

حنان ... ماذا أفعل ؟ على الدين ينهار .. ينهار

ـ الحل فى يدك

ـ لا أقدر .. لا أقدر

ـ كونى عاقلة يا خديجة .. إن ما كسر على الدين كبرياؤه المجروح بعدما صددتيه برفضك .. فلبى طلبه دونما تفريط .. ثم اقنعيه بما تريدينه يا خديجة .

ـ سينفلت الجواد الجامح ولن اتمكن من لجمه أبداً

ـ دعى التشاؤم .

ـ هى الحقيقة المرة يا صاحبتى .

ـ سيرسب على الدين هذا العام .. وأنت السبب . . أنت السبب .

قامت خديجة دونما رأى وسارت فى الشارع وقد ضاق عليها ونظرت فى الأفق إلى البحر فإذ بعاصفة عاتية ترسل النذر فأسرعت الخطى عسى أن تلحق بالبيت قبل أن تطبق السحب الرمادية الداكنة على أنفاسها .

فى المطبخ زوجة عمها تضع طعاماً ساخناً وهى فى غرفتها قاطبة الجبين لا تسمع لها حساً .. فقامت إلى أمه تساعدها وهى تضمر السؤال عنه :

ـ كيف حال الطعام يا زوجة العم ؟

ـ نضج واستوى .. ولا يبقى إلا الأكل .. طعام ساخن حتى نتدفأ من هذا البرد .

ـ أين على الدين ؟ أنا .. أنا لم أره اليوم ولا أمس .

ـ يذاكر فى حجرته .. ولو أننى أشك فى ذلك .

ـ ماذا تقصدين ؟

ـ حاله يا خديجة لا يعجبنى .. كلما رأيته رأيت المرض فى عينيه .. ولكنه مصر أنها هموم الدراسة والمذاكرة .. ماذا جرى ؟ .. إنه لم يأكل وجبة كاملة منذ ثلاثة أيام يا بنيتى .. خديجة .. على الدين يسمع كلامك .. هلا أقنعتيه بأن يتناول غذاءه ؟ بارك الله فيك .

أطرقت تنظر للأرض وقالت فى نفسها ‹ قاتلته .. أنا قاتلته .. كيف يرجى من القاتل أن يمنح الحياة لضحيته ؟ › .

ـ خديجة .. هيا .. هيا يا حبيبتى .. خذى الطعام إليه .. خذيه ..

مشوار طويل بين المطبخ وغرفته .. أحست أنها تمشى فيه منذ سنة .. رجل تذهب ورجل ترجع .. ارتعشت الصينية

بين يدها .. طرقت الباب بقدمها مرات ومرات وتمنت ألا يفتح حتى لا تبتأس من حاله .. وعندما لم يفتح استدارت عائدة إلى أمه .. وناولتها الطعام :

- ادخلى له أنت يا زوجة العم .. لم يفتح .. لابد أنه نائم .

وبينما تهرع إلى حجرته سمعت بابه ينفتح .. فدلفت دون أن يراها وانكبت على كتبها تراجع الدرس .. ثم تناولت مع عمها الغداء وعلمت أن على الدين أكل القليل من الطعام وأن حالته مزرية .. فكادت تنفطر حزنا وعاودتها الهواجس وشغلت به عن المذاكرة ولكنها استعادت نشاطها لما أحست باقتراب الامتحان وغرقت فى التحصيل حتى اقترب الفجر ولما أحست بالنوم يغالبها أغلقت الكتاب .

وبينما تسوى فراشها سمعت من يتقيأ فأرهفت السمع فصاحت وهى تهرع نحو دورة المياه :

ـ على الدين .. على الدين ؟

أمام الحوض كان منحنياً يصب عصارة بطنه فلما سمعها اعتدل ونظر إليها فرأت حاله البئيس .. عينان غائرتان فى كهفين من العظم .. الوجه شاحب وذقنه لم يمسها الموسى منذ أيام .. مسح فمه بالماء .. ومر من جانبها كأنها لم تكن هناك فشدته من ذراعه :

ـ على الدين .. ماذا بك ؟ .. ما الذى تعانى منه ؟

ـ ليس لك أن تسألى .. عودى إلى كتابك ؟

ـ على الدين

ـ لو كنت أعلم قسوة قلبك ما سألتك وصالاً .. ولكنك قطعة من الصخر .. باردة .

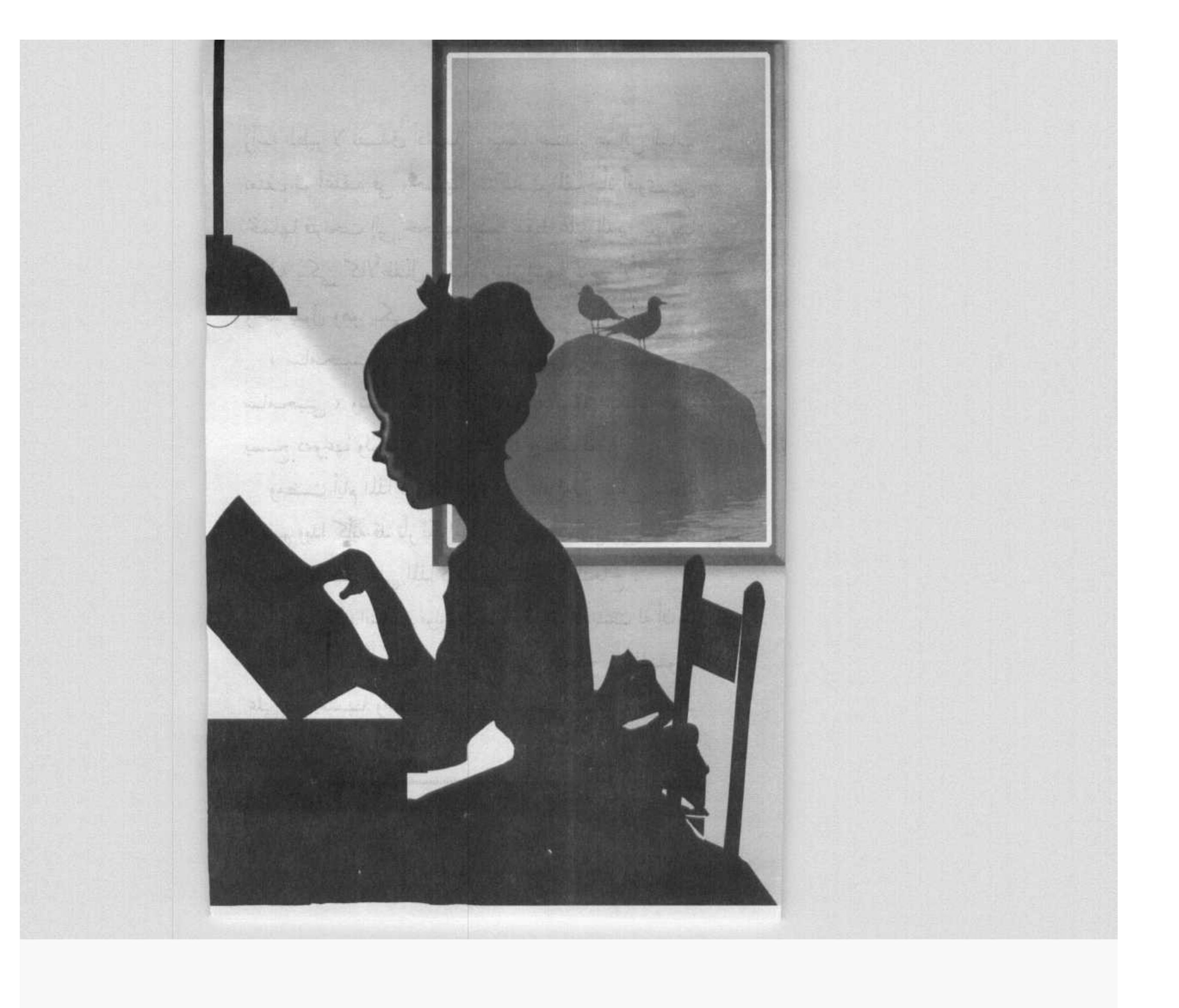
لم يسبها أحد طيلة حياتها ولم يشتمها .. ومن ذا الذى فعلها .. إنه أحب إنسان لقلبها .. نالت منه إهانة شديدة .. وأسوأ الأذى ما يأتى من أحب حبيب .. وقفت كمن على

رأسه الطير لا تصدق أذنيها .. بينما استدار هو إلى الباب بعنف ثم أغلقه في وجهها .. كانت المفاجأة أقوى من تحملها فترنحت إلى حجرتها بينما سقط على الدين بجانب فراشه يبكى كالأطفال وقلبه يرسل إليها آلاف الأعذار .. وأخذ يقول وهو يبكى :

« سامحينى يا خديجة .. سامحينى يا خديجة .. سامحينى » وتمنى أن لو قتل هذا الكبرياء والعناد حتى يمسح دموعها ولكنه ما زال يستلذ به ويستعمله .

ومضت أيام المذاكرة الأخيرة .. وعاد لعلى الدين نشاطه القديم وبدا كأنه قد ثأر لكرامته وكبريائه فتمكن من استعادة توازنه .. فانكب على المذاكرة مصمماً على النجاح .

أما هى فقد ابتلعت مرارة الإهانة وقررت أن تثبت له أن ما شئ مما كان قد أثر فيها .. وعزمت على النجاح .. فاستقوت على هواجسها وصاحبت الكتب حتى كان الامتحان



واشتعلت اللحظات الحرجة .. وتوتر الجو .. إلى أن مضت الامتحانات وفى آخر يوم :

– عمى .. استأذنك فى العودة إلى بيتنا .

– أهكذا ؟ ولم التسرع ؟ غدا أو بعد غد .

– لا يا عمى .. أرجوك .. اليوم .. أريد أن أبيت الليلة فى بيتنا .

وكان لها ما أرادت .. وعادت تحمل حبه فى قلبها ولكن لا شئ .. لا شئ يعيد إليها اعتبارها إلا القطيعة .. القطيعة حتى آخر العمر .. هكذا كان رأيها وهذه نهاية اختارتها لنفسها ومضت تمضغ الأيام الجافة على مضض ، وتمنت لو أن شيئا يغزو حياتها .. أي شئ يشغلها عن الفكر الذى يجهدها .. وما توقعت أن يكون بهذه السرعة :

– خديجة .. أمستيقظة أنت ؟

– أمى ؟ .. أهلا يا أمى ..

ـ لك عندى خبر سعيد .
ـ إتنى به يا أمى .. فأنا فى أمس الحاجة إلى ما يفرحنى .
ـ جاءك من يطلب وصالك على سنة الله ورسوله .
مفاجأة عقدت لسانها عن الرد .. وظنت أنه هو .. على الدين .. :
ـ حقاً يا أمى .. من .. من يكون ؟
ـ مراد .. مراد ابن عمدة القرية ..
صفعة شديدة .. قذفت بها إلى ظلام الكون الفسيح .. حيث لا شئ سوى الفراغ والنجوم المنكدرة .. صحت منها على أمها تخبرها أن العريس سيأتى فى أول الأسبوع القادم ليطلب يدها .
ـ أمى .. ولكن مراد هذا .. أكبر منى بما يزيد عن عشرة أعوام .
ـ سن مناسب .. ثم إنه ..

- أمى .. هل نؤجل قرارى إلى وقت لاحق .. إن المفاجأة أربكتنى .

تركتها تفكر فى أمرها .. من قبل قوّاها عقلها على قطيعة على الدين .. ولكن الآن كيف تتخيل الحياة بدونه .. جرت إلى التليفون .. لتكلم صديقتها :

- حنان انقذينى .. انقذينى .. جاءنى عريس .

- وعلى الدين .. هل انتهى ؟

- أريده ولكنى لاأستطيع تنفيذ طلباته ..

- ما الذى لا تستطيعين تنفيذه .. أن تجلسا فى مكان عام وتتحدثان فى المستقبل ؟

- حنان .. اذهبى له .. وأخبريه بالحادثة .. واطلبى منه أن يفعل شيئا .

- ماذا تنتظرين منه بعدما حدث بينكما ؟

- أرجوك يا حنان .. فليأت هو الآن يطلب يدى ..

أرجوك يا حنان .

ـ سأتصل به تليفونياً يا خديجة .

ـ التليفون ؟ .. لماذا لا تذهبى له ؟

ـ فى الحقيقة .. موقفك قد أثر فىّ يا خديجة .. فكل ماتعانيه فى حياتك بسبب ثباتك على مبدأك .. وأنا رغم معارضتى لك .. إلا أننى معجبة بك .. وأنا أيضا بعد الآن لن أحب أن يرانى أحد أحدث شاباً أو رجلا لا يكون بينى وبينه رباط شرعى إلا فى حدود عملى أو دراستى .. أما بالنسبة لعلى الدين فلا يزال غريبا علىّ سأشرح له فى التليفون الأمر كله بإذن الله .

وبعد قليل قامت حنان بالاتصال بعلى الدين :

ـ أنا حنان .. حنان صاحبة خديجة وصديقتها .. وحاملة سرها .

ـ أهلا وسهلا .. كيف هى ؟

ـ أخبرتنى أن أخبرك بشئ

وماهو ؟

ـ لقد تقدم لها عريس بالأمس .

كاد أن يغشى عليه فتماسك قليلا .. وساء فهمه للأمر .. فظن أنها تتحداه .. وبدلا من أن يستفهم الأمر :

ـ قولى لها .. أنى ما عدت أرغب فيها .. قولى لها .. أنا أيضا سأخطب فتاة أحبها .. وأقابلها وتزعن لرغباتى .

ـ على الدين .. على الدين ...

أغلق الخط بينهما .. وخرج يهيم على وجهه فى الشوارع يفترسه الحزن والغيظ .. لم يكن ليصدق ما حدث .. كان فى قلبه شئ يؤكد له أنها لن تتنازل عنه يوماً .. فماذا جرى ؟ كان الملعب فسيحاً يحاور فيه بحرية .. أما الآن فقد ضاق به حتى انخلع منه تماماً .

وفى القرية استعجلت الأم رأى خديجة :

ـ ماذ قلت يا ابنتى فى مراد ابن العمدة ؟

ـ لا أدرى يا أمى .. الأمور معقدة .. معقدة ..

ـ ماذا بك يا خديجة ؟

ـ لا شئ يا أمى .. اسمعينى .. مراد هذا أعرفه شكلا فقط يجب أن أسمعه ويسمعنى .. بما أنه سيكون هنا السبت القادم .. فلنؤجل الرد إلى ما بعد زيارته لنا .

عجزت حنان عن الاتصال بعلى الدين الذى هام بعيدا عن البيت وخشيت أن تكلم خديجة وتخبرها بالخطأ السئ الذى وقعت فيه .. أما الأخيرة فكانت غنيمة للقلق والانتظار .. وبعد جهد جهيد كلمت صديقتها :

ـ حنان .. ماذا جرى ؟ لم تبق سوى أربعة أيام على حضور العريس .. ماذا قال على الدين ؟

ـ لم يفهمنى .. لم ينتظر أن أشرح له .. ظن أنك تنتقمين منه .

سقطت خديجة مغشيا عليها تاركة حنان على الخط دونما بت فى الأمر .. وحضرت الأم مسرعة فاسعفتها .. وفى لحظة الضعف اعترفت لأمها بكل شئ .

ـ وهل قابلتيه كما أراد ؟

ـ لا .. لا يا أمى .. لم يكن لى أن أخون الله ربى .. وأخون أبى ..

ـ وهذا ما أوصلكما لتلك الحال .

ـ نعم يا أمى .. وهو الآن يتصورنى عدوة له .

ـ ولماذا لم يتقدم ؟ .. إنه ابن عمك .. وهو أولى من غيره .

ـ إن والده .. رافض لفكرة شروعه فى الإرتباط إلا بعد انتهاء الجامعة تماماً .

ـ وما العمل إذن ؟

ـ لا أعرف .

ـ هل تحبينه حقاً يا خديجة .
ـ أحبه يا أمي .. وأرغب فيه زوجاً .. لكنه ضل عن طريقي .. لا أدرى ما العمل .
ـ لا يعقل انتظار الوهم ، والحقيقة بين أعيننا .. أرى أن تنسى هذا الوهم وتقبلي على مراد .. هو الحقيقة يا ابنتي .. وأي فتاة عاقلة تطير فرحاً إذا تقدم لها مراد .. ثم إن الفرصة لا تأتي مرتين يا خديجة .
ـ أدرك ذلك يا أمي .. أحيانا تكون في حياتنا أحلام .. يعلم الله أنها مجرد أحلام .. لها .. حلاوة الأحلام باسطوريتها .. ووورديتها .. وسحرها الفريد أحلام لا تتحقق .. لأنها لو أصبحت حقيقة لتغيرت وتبدلت وشابها ما يشوب المادة من دفع وجذب وشد .. إذن لما عادت أحلاما .. ستتغير يا أمي .. ولكن إذا كتب علينا أن تظل كما هي ولا تتحقق فسنحتفظ دوماً بسحرها وجمالها .. وتصبح شيئا

مقدسا يستحيل الحدوث .. وهكذا أنا وعلى الدين .. سنظل وفى داخل كل منا حلم جميل .. كلما زارنا طيفه انتشينا وطربناولمسنا عذاب الحب المستحيل .

ولم يدخر على الدين وسعاً فى الأخذ بأنسب الطرق لنسيان خديجة .. عندما لبى نداء أول فتاة فى الحى شاغلته .. فأرسل يطلب مقابلتها .. فرأى الفرق جليا بينها وبين خديجة عندما لم يجد مقاومة تذكر فلا مبدأ لها ولا دين . فوقف على أول درجات الندم وتمنى أن لو قتل كبرياءه العنيد الذى ضيع عليه حبيبته النقية الطاهرة .

فها هو يجلس إلى جميلة لا روح فيها بجسد لا روح فيه .. وكلما ناداها قال : يا خديجة .. فزاد همه هماً .. وعاد للبيت يلعن نفسه وكلما تخيل خديجة اختنق وبكى ومضى عليه يومين فى البيت سقط بعدها صريع المرض .

وبينما كانت حنان فى بيتها .. إذ همت بإعادة المحاولة

مع على الدين .. أمسكت بالتليفون وطلبته فردت عليها والدته فعرفتها بنفسها وطلبت مكالمته :

ـ على الدين مريض يا بنتى .. ولم يعرف الطب سببا لعلته .

ـ أنا أعرف يا سيدتى .. هلا استمعت لى .

ورمت حنان الأمانة إلى أمه التى أدركت أن شفاء ولدها فى وصاله بحبيبته فهرعت إلى والده :

ـ زهران .. لابد أن نزور قريتكم اليوم

ـ هل تعتقدين أن ذلك شفاء لولدنا ؟

ـ ولدنا يحب ابنة عمه .. ولما علم أن هناك من تقدم لخطبتها سقط مريضاً

ـ ماذا ؟ ... وماذا يعنى ذلك ؟

ـ بعد غدٍ يا زهران ستخطب خديجة إلى شاب آخر وسيموت ولدنا كمداً .

لابد أن نسرع حتى نخطبها لعلى الدين .

ـ ولكن .. ولكنه لم ينته من دراسته بعد ..

وفى القرية تعاظم الأمر على خديجة.. فقد غاب الحبيب وراء جبال النسيان والصد وأخذت تحلم .. فما لها غير الأحلام تأتنس بها ؟ .. رأت نفسها وعلى الدين على جوادين ينطلقان نحو أفق فسيح .. وفجأة اعترضهما جبل ففرق بينهما فإذا هى وحدها تسير بحذاء الجبل على جوادها تنتظر متى يمر الجبل حتى ترى على الدين فى الناحية الأخرى .. ولما انتهى الجبل وجدت نفسها بعد الفراق مع حبيبها على جواد واحد تركب وراءه والجواد ينطلق فإذا له جناحان يرتفع بهما فى السماء .. وهما يضحكان ولهما صدى يدوى فى الآفاق وإذا العصافير تحلق حولهما .. فمدت يدها فى جيب على الدين وأخرجت حبوباً من ذهب أخذت تنثرها فى الجو لها بريق يلمع فى



ضوء الشمس والعصافير تزداد زقزقة وهما يضحكان وينطلقان نحو عنان السماء .

رفعت خديجة رأسها فوجدت الدموع تبلل ساعديها التى اعتمدت بها على جدار الشرفة.. ورأت حنطورا بباب البيت فأعاد لها ذكرى اليوم الحبيب ورأت عمها زهران ينزل تتبعه زوجته تيسير ثم نزل على الدين ينظر إليها فظنت أنها ما زالت فى الأحلام مسترسلة وتعجبت ثم اندهشت .. فركت عينيها بأناملها .. عندما انحنى الزوار إلى داخل البيت ورمقها على الدين بنظرة اربكتها فردتها للوراء فأعادت النظر إلى الحنطور .. كان مكانه يؤكد حقيقة الأحداث .

جرت إلى الداخل وقفت على قمة السلم .. رأتهم يدخلون حجرة الاسقبال وهرعت اليهم أمها وأغلق الباب والدها وغابوا كثيرا إلا أنها لم تبرح مكانها .

وفى وقفتها أحست أن البيت يزلزل على دقات قلبها

المتلاحقة .. إذا نظرت لخشب الترابزين لوجدته محفوراً من شدة غرس أظافرها فيه .. تُرى .. لماذا جاءوا ؟ وغداً كان سيأتى مراد وأهله .. هل أذعن على الدين وعلم أن الحق لا يهدى إلى الضلال أبدا ؟ هل حطم كبرياءه المزعوم من أجلها ؟ .. وياترى ماذا سيقولون وإلى أى قرار سيهتدون ؟

بكت .. ولم تقوى رجلاها على الصمود فجلست أعلى درجات السلم تنتظر الباب الذى من خلفه ستصدر الأحكام .

وفتح الباب .. ثم ساد صمت مهيب وأطبق الصمت عليها حتى كادت أنفاسها أن تتوقف .. وفجأة فتح الباب على مصراعيه .. وأتى صوت أمها يذبح الصمت ذبحاً :

ـ خديجة .. تعالى لترحبى بخطيبك .. خطيبك على الدين .

انتفضت وهبت واقفة ولمع اللؤلؤ فى ثغرها وابتسمت ثم

ضحكت عيناها ولم تعرف يدها ماذا تفعل .. وكادت تتقافز فى مكانها كالأطفال وتعثرت تهبط السلم ثم فجأة وقفت ومسحت دموعها .. ثم تنبهت فعادت تجرى إلى حجرتها ووقفت أمام دولاب زينتها وحانت منها التفاتة إلى الشرفة فإذا بكل العصافير على غير ميعادها تأتى متجمعة تهنئها ونظرت إليهم فإذا جمعهم يشبه فستان الخطوبة الوردى .. ضحكت بصوت عال لأول مرة منذ وقت طويل .. وجرت إليهم ثم نثرت لهم ما بالجوال كله من حب . ولما استدارت رأت أمها تدخل ويدها على الدين وقالت لها :

– ألف مبروك يا خديجة .. ألف مبروك يا حبيبتى

* * *

تمت بحمد الله تعالى

روايات حب
(٣)
شمس الليل

وكأنها بلا علم تشاركه الألم عندما أخذت تبكيه ليل نهار ، فأنزوت وكادت أن تضعف مرة أمام توسلات المعلم الذى يريد الزواج منها ، ولكنها تمسكت وتعلقت بشعاع أمل ضعيف .. أن يعود محمود يوماً ما ......

وحان اليوم الذى ارتدى فيه محمود تاج النجاح .

موعدك القادم :

مع العدد الثالث من روايات حب (شمس الليل) ..